دمه وماجرى بيني وبينك صلح فيمنعك مني ولا يبدلك امانا فكتب اليه ابن عباس جوابا طويلا يقول فيه واما قولك اني
من الساعين على عثمان والخاذلين له والسافكين دمه وماجرى بيني وبينك صلح فيمنعك مني فاقسم بالله لانت
المتربص بقتله والمحب لهلاكه والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من امره ولقد اتاك كتابه وصريخه يستغيث
بك ويستصرخ فما حفلت به حتى بعثت اليه معذرا باجرة انت تعلم انهم لن يتركوه حتى يقتل فقتل كما كنت اردت ثم
علمت عند ذلك ان الناس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تنعى عثمان وتلزمنا دمه وتقول قتل مظلوما فان يك قتل مظلوما فانت اظلم
الظالمين ثم لم تزل مصوبا ومصعدا وجاثما ورابضا تستغوي الجهال وتنازعنا حقنا بالسفهاء حتى ادركت ما طلبت
وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين **الاصل** ومن كلام له عم الى اهل مصر لما ولى عليهم الاشتر رح من عبد الله امير
المؤمنين الى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في الارض وذهب بحقه وضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم
والظاعن فلا معروف يستراح اليه ولا منكر يتناهى عنه اما بعد فقد بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينام ايام الخوف
ولا ينكل عن الاعداء ساعات الروع اشد على الفجار من حريق النار وهو مالك بن الحرث اخو مذحج فاسمعوا له
واطيعوا امره فيما طابق الحق فانه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة فان امركم ان تنفروا فانفروا
وان امركم ان تقيموا فاقيموا فانه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم الا عن امري وقد اثرتكم به على نفسي لنصيحته
لكم وشدة شكيمته على عدوكم **الشرح** هذا الفصل يشكل علي تاويله لان اهل مصر هم الذين قتلوا عثمان واذا شهد
امير المؤمنين عم انهم غضبوا لله حين عصي في الارض فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان واتيان المنكر ويمكن
ان يقال وان كان متعسفا ان الله تعالى عصي في الارض لا من عثمان بل من ولاته وامرائه واهله وذهب بينهم
بحق الله وضرب الجور سرادقه بولايتهم وامرهم على البر والفاجر والمقيم والظاعن فشاع المنكر وفقد المعروف بقي
ان يقال هب ان الامر كما تاولت فهؤلاء الذين غضبوا لله الى ماذا آل امرهم اليس الامر الى انهم قطعوا المسافة من مصر
الى المدينة فقتلوا عثمان فلا تعدو حالهم امرين اما ان يكونوا اطاعوا الله بقتله فيكون عثمان عاصيا مستحقا
للقتل او يكونوا اسخطوا الله تعالى بقتله فعثمان اذا على حق وهم الفساق العصاة فكيف يجوز ان يبجلهم او يخاطبهم
خطاب الصالحين ويمكن ان يجاب عن ذلك بانهم غضبوا لله وجاؤوا من مصر وانكروا على عثمان تامير الامراء
الفساق وحصروه في داره طلبا ان يدفع اليهم مروان ليحبسوه او يؤدبوه على ما كتبه في امرهم فلما حصر طمع فيه مبغضوه
واعداؤه من اهل المدينة وغيرها وصار معظم الناس البا عليه وقل عدد المصريين بالنسبة الى ما اجتمع من
الناس على حصره ومطالبته بخلع نفسه وتسليم مروان وغيره من بني امية اليهم وعزل عماله والاستبدال بهم ولم
يكونوا اح يطلبون نفسه لكن قوما منهم ومن غيرهم تسوروا داره فرماهم بعض عبيده بالسهام فجرح بعضهم فقادت
الضرورة الى النزول والاحاطة به وتسرع اليه واحد منهم فقتله ثم ان ذلك القاتل قتل في الوقت وقد ذكرنا ذلك
فيما تقدم وشرحناه فلا يلزم من فسق ذلك القاتل وعصيانه ان يفسق الباقون لانهم غضبوا لله وان يثني عليهم ويمدحهم
ثم وصف الاشتر بما وصفه به ومثل قوله لا ينام ايام الخوف قولهم لا ينام ليلة يخاف ولا يشبع ليلة يضاف وقال هذا
فاتت به حوش الفؤاد مبطنا سهدا اذا ما نام ليل الهوجل ثم امرهم ان يطيعوه فيما يامرهم به مما يطابق الحق
من شدة دينه وصلابته عم لم يسامح نفسه في حق احب الخلق اليه بهمل هذا القيد قال رسول الله صلعم لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق وقال ابو حنيفة قال لي الربيع في دهليز المنصور ان امير المؤمنين يامرني بالشيء بعد الشيء من امور ملكه
فانفذه وانا خائف على ديني فما تقول في ذلك قال ولم يقل لي ذلك الا في ملأ من الناس فقلت له افيامر امير المؤمنين
بغير الحق قال لا قلت فلا باس عليك ان تفعل بالحق قال ابو حنيفة فاراد ان يصطادني فاصطدته والذي صدع بالحق
في هذا المقام الحسن البصري قال له عمر بن هبيرة امير العراق في خلافة يزيد بن عبد الملك في ملأ من الناس منهم الشعبي
وابن سيرين يا ابا سعيد ان امير المؤمنين يامرني بالشيء اعلم ان في تنفيذه الهلكة في الدين فما تقول في ذلك قال الحسن
ماذا اقول ان الله مانعك من يزيد ولن يمنعك يزيد من الله يا عمر خف الله واذكر يوما ياتيك تتمحض ليلته عن القيمة

انه سينزل عليك ملك من السماء فيحطك عن سريرك الى قصرك ويضطرك من قصرك الى لزوم فراشك ثم ينقلك عن فراشك
الى قبرك ثم لا يغني عنك الا عملك فقام عمر بن هبيرة باكيا يصطك لسانه قوله فانه سيف من سيوف الله هذا لقب خالد
بن الوليد واختلف فيمن لقبه به فقيل لقبه به رسول الله صلعم والصحيح انه لقبه به ابو بكر لقتاله اهل الردة وقتله
مسيلمة والظبة بالتخفيف حد السيف والنابي من السيوف الذي لا يقطع واصله نبا اي ارتفع فلما لم يقطع كان
مرتفعا فسمي نابيا وفي الكلام حذف تقديره ولا نابي ضارب الضريبة وضارب الضريبة هو حد السيف فاما الضريبة
نفسها فهو الشيء المضروب بالسيف وانما دخلته الهاء وان كان بمعنى مفعول لانه صار في عداد الاسماء كالنطيحة والاكيلة
ثم امرهم بان يطيعوه في جميع ما يامرهم به من الاقدام والاحجام وقال انه لا يقدم ولا يؤخر الا عن امري وهذا ان كان قاله
مع انه قد فسح له ان يعمل برايه في امور الحرب من غير مراجعته فهو عظيم جدا لانه يكون قد اقامه مقام نفسه وجاز ان
يقول انه لا يفعل شيئا الا عن امري وان كان لا يراجعه في الجزئيات على عادة العرب في مثل ذلك لانهم يقولون فيمن
يثقون به نحو ذلك وقد ذهب كثير من الاصوليين الى ان الله تعالى قال لمحمد عليه السلم احكم بما شئت في الشريعة فانك لا تحكم
الا بالحق وان كان يحكم من غير مراجعة لجبريل عليه السلم وان كان تعالى قد قال في حقه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى وان كان عليه السلم قال هذا القول عن الاشتر لانه قد قرر معه بينه وبينه ان لا يعمل شيئا قليلا او كثيرا الا بعد مراجعته
فيجوز ولكن هذا بعيد لان المسافة طويلة بين العراق ومصر وكانت الامور هناك تقف وتفسد ثم ذكر انه اثرهم
على نفسه وهكذا قال عمر لما انفذ عبد الله بن مسعود الى الكوفة في كتابه اليهم قد اثرتكم به على نفسي وذلك ان عمر كان
يستفتيه في الاحكام وعلي عم كان يصول على الاعداء بالاشتر ويقوي انفس جيوشه بمقامه بينهم فلما بعثه الى مصر كان مؤثرا
لاهل مصر **الاصل** ومن كتاب له الى عمرو بن العاص فانك جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك ستره يشين
الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتبعت اثره وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ بمخالبه وينتظر ما يلقى اليه
من فضل فريسته فاذهبت دنياك واخرتك ولو بالحق اخذت ادركت ما طلبت فان يمكن الله منك ومن ابن ابي سفيان
اجزكما بما قدمتما وان تعجزا وتبقيا فما امامكما شر لكما والسلام **الشرح** كل ما قال عم فيهما هو الحق الصريح بعينه لم يحمله بغضه
لهما وغيظه منهما الى ان بالغ في ذمهما به كما يبالغ الفصحاء عند سورة الغضب وتدفق الالفاظ على الالسنة ولا ريب عند احد
من العقلاء ذوي الانصاف ان عمرا جعل دينه تبعا لدنيا معاوية وانه ما بايعه وتابعه الا على جعالة جعلها له وضمان تكفل
له بايصاله اليه وهي ولاية مصر مؤجلة وقطعة وافرة من المال معجلة ولولديه وغلمانه ما ملأ اعينهم فاما قوله عم في
معاوية ظاهر غيه فلا ريب في ظهور ضلاله وبغيه وكل باغ غاو واما مهتوك ستره فانه كان كثير الهزل والخلاعة صاحب
جلساء وسمار ومعوية لم يتوقر ولم يلزم قانون الرياسة الا منذ خرج امير المؤمنين عم واحتاج الى الناموس والسكينة والا فقد
كان في ايام عثمان شديد التهتك موسوما بكل قبيح وكان في ايام عمر يستر نفسه قليلا خوفا منه الا انه كان يلبس الحرير والديباج
ويشرب في انية الذهب والفضة ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها وعليها جلال الديباج والوشي وكان ح
شابا وعنده نزق الصبا واثر الشبيبة وسكرة السلطان والامرة ونقل الناس عنه في كتب السيرة انه كان يشرب الخمر
في ستر وقيل انه لم يشرب ولا خلاف في انه سمع الغناء واحس عبد الله بوقوفهما ففتح وعزم على معاوية ان يدخل فجلس على
سرير عبد الله فدعا عبد الله له وقدم اليه يسيرا من طعام فاكل فلما انس قال يا امير المؤمنين الا تاذن لجواريك ان يتممن
اصواتهن فانك قطعتها عليهن قال فليقلن فرفعن اصواتهن وجعل معاوية يتحرك قليلا قليلا حتى ضرب برجله
السرير ضربا شديدا فقال عمرو قم ايها الرجل فان الرجل الذي جئت لتلحاه او تتعجب من امره احسن حالا منك فقال مهلا
فان الكريم طروب اما قوله يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فالامر كذلك فانه لم يكن في مجلسه الا شتم
بني هاشم وقذفهم والتعرض بذكر الاسلام والطعن عليه وان اظهر الانتماء اليه واما طلب عمرو فضله واتباعه اثره اتباع
الكلب للاسد فظاهر ولم يقل الثعلب غضا من قدر عمرو وتشبيها له بما هو ابلغ في الاهانة والاستخفاف ثم قال ولو بالحق
اخذت ادركت ما طلبت اي لو قعدت عن نصره ولم تنهض اليه مما اليابه على الحق لوصل اليك من بيت المال قدر كفايتك

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1